

نحو مواجهة أزمة التعليم في ظل جائحة كورونا – حالة الجزائر

Towards Facing the Education Crisis in the Corona

Pandemic- the case of Algeria

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم- الجزائر	علم الاجتماع	د.كيم صبيحة* kimesabiha@yahoo.fr
--	--------------	-------------------------------------

تاريخ النشر: 2022/05/05	تاريخ القبول: 2022/04/05	تاريخ الإرسال: 2022/01/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص: يعالج هذا المقال العلمي تعرض دول العالم لجائحة كورونا منذ أواخر سنة 2019 ومدى خلق هذه الوضعية لأزمات على مختلف المستويات، فلم يسلم قطاع التعليم من هذه الأزمة. بل اضطرت الدول توقيف العملية التعليمية بغلق المدارس والجامعات. مقارنة بالمشهد في بلادنا، حاولنا الكشف عن السياسة التعليمية لوزارة التعليم لتفادي انتشار فيروس كورونا بداية من شهر مارس 2020، فتحول التعليم الحضوري داخل الأقسام إلى التعليم عن بعد لإنقاذ السنة الدراسية. وتوصلنا كنتيجة إلى أن التعليم عن بعد كان رهانا كبيرا على الدولة الجزائرية، أمام غياب البنية التحتية المتمثلة بالإمكانيات المادية والبشرية، عدم استعداد حقيقي للتلاميذ، انعدام تكوين المعلمين، فكل هذه العوامل كانت حاجزا أمام نجاح التعليم عن بعد بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: أزمة التعليم: جائحة كورونا : التعليم عن بعد : التعليم إلكتروني : التلاميذ.

Abstract :

This scientific article deals with the exposure of the countries of the world to the Coronavirus pandemic since late 2019 and the extent to which this situation created crises at various levels. Instead, States have had to stop the educational process by closing schools and universities. Compared to the scene in our country, we tried to unveil the educational policy of the Ministry of Education to avoid the spread of the Coronavirus starting in March 2020, so urban education within departments turned to distance education to save the school year. As a result, we concluded that distance education was a great bet on the Algerian State, and in the absence of the infrastructure of material and human resources, the lack of real preparedness of pupils, the lack of teacher training, was a barrier to the success of distance education in Algeria.

Keywords : education crisis; coronavirus pandemic; distance learning; e-learning; students.

* المؤلف المرسل: kimesabiha@yahoo.fr

1. مقدمة:

لا تختلف الجزائر عن باقي الدول بالمشهد التعليمي أو بالأحرى أزمة التعليم، فبتاريخ بداية الأزمة الصحية التي اجتاحت العالم بسبب جائحة كورونا، تزامن توقف العملية التعليمية الحضورية بجميع المؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة وحتى الجامعات، وهذا ما قارب 1.6 مليار طفل أي ما يعادل 94% من مجموع الأطفال المتدربين توقفوا عن الذهاب للمدارس في دول العالم وأجبروا على الإحالة لعطلة وقائية. مما أحدث أزمة تعلم لا مثيل لها، ويرشح الكثير من الباحثين أن آثارها السلبية ستستمر على رأس المال البشري للجيل الحالي من التلاميذ والطلاب لمدة طويلة بسبب الإرهاق النفسي الذي تعرض له الأطفال والأولياء. وإلى يومنا هذا لا يزال 700 مليون طفل يدرسون بمنزلهم عبر المنصات الإلكترونية التعليمية وفي أجواء يلفها الكثير من الضبابية وعدم اليقين بنجاعة أو نجاح التعليم عن بعد حسب ما توصل إليه البنك الدولي وترى المنظمة في نفس السياق أن الوضعية تفاقت أكثر بانحسار فيروس كورونا، حيث ارتفعت معاناة الأطفال لتعرضهم إلى فقر التعلم، فزاد عددهم من 53 طفل إلى 63 طفل من مجموع 100 طفل في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل (تقرير البنك الدولي، 2020).

لم تختلف الإجراءات والتدابير الوقائية التي قامت بها السلطات الجزائرية من أجل كبح انتشار وباء كورونا والمتثلة بالحجر المنزلي الذي فرض منذ شهر مارس 2020 على التلاميذ والطلبة والمعلمين والأساتذة والإداريين وكل الطاقم التربوي، وكذا غلق المؤسسات التعليمية والجامعات على مستوى كل القطر الجزائري. فكان غلق المؤسسات التعليمية الحل الوحيد أمام حماية وتحقيق الأمن الصحي لأكثر من تسع ملايين ونصف تلميذ وأكثر من مليوني طالب وتفاديا لانتشار الوباء ووصوله للذروة وخوفا من كارثة بشرية التي كان من المحتمل أن يذهب خلالها الكثير من الأرواح.

تندرج مشاركتنا لهذه الورقة العلمية في إطار قراءة للآزمات التي مر بها النظام التعليمي الجزائري لحقبة زمنية معتبر والتي سنعرض امتدادها من الدولة العثمانية حتى الفترة الحالية أي في ظل وباء كورونا. تمثل حالة استثنائية لم تشهدها الدولة من قبل، وهو ما دفعها إلى التفكير والنهج نحو مسار التطور التكنولوجي والرقمي لمواجهة الأزمة وأيضا كبديل اضطراري لمواكبة العصر كنموذج حديث للمناهج للعملية التعليمية التي يطلق عليها بالتعليم عن بعد.

وسنحاول عرض التجربة الجزائرية للتعليم عن بعد وما حققه هذا النوع من التعليم من تحولات في العملية التعليمية على مستوى التلميذ والأستاذ. والتطرق للرهانات والتحديات التي واجهتها المنظومة التربوية والتي لا تزال تواجهها إلى يومنا هذا، وفي هذا الصدد وضعنا بعض الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها :

- ما هي الخطة التعليمية التي انتهجتها السلطات الجزائرية في ظل جائحة كورونا ؟
- ما هي الرهانات والتحديات التي تواجه النظام التعليمي أمام أزمة التعلم التي أرغمته نحو مسار التعليم عن بعد؟

- ما هي المشاريع المستقبلية التي ستعمل على بنائها المنظومة التعليمية كمواصلة لما بعد جائحة كورونا؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، سنعالج مدى نجاح المواقع الإلكترونية التعليمية لمواصلة تدريس التلاميذ وقنوات التلفزة الوطنية في بث الدروس لمختلف الأطوار لمواجهة أزمة النظام التعليمي في ظل جائحة كورونا وإدراك التحدي الذي وقعت به السياسة التعليمية للتطور نحو الرقمنة والمعرفة الإلكترونية العالمية.

2. السيرة التاريخية لأزمات التعليم الجزائري

ما نلاحظه اليوم على مختلف الأصعدة أن الأنظمة التربوية تتعرض لتغيرات ولتجديدات لا يمكن بحال من الأحوال فصلها عن المسار التاريخي، وإلا فإن التعرض لهذه الأنظمة يكون بشكل سطحي، بعيدا عن الفهم الحقيقي لنشأتها وتطوراتها. وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على الأنظمة التربوية عبر التاريخ، فإنه لا يمكن وصف كل خبرة وقعت في الماضي بأنها مؤثرة على النظام التربوي الحالي. فالحضارات في مسار تشكلها الطويل عرفت أحداثا تاريخية كثيرة، ولكنها لم تحتفظ إلا بما يتناسب مع بقائها وديمومتها، وما لا يتعارض مع وجودها المستقل المحافظ على خصائصها.

وفي تعرضنا للسيرة التاريخية للنظام التربوي الجزائري قررنا فصل أربع مراحل حاسمة في تشكيل هذا النظام وصولا إلى الفترة الحديثة التي عرفت إصلاحات عديدة متتابعة لا يمكن تجاهلها وتجاهل ما تعرض له التعليم من مناهضات وتحطيم لبنائه قاعدية مؤسسة لمجتمع، فإن النظام التعليمي هو نتاج الصراعات والصعاب والمعارك التي ظهرت منذ قدم فيتحول على اثر هذا ك "كائن حي" (إبراهيم، س، 1958، 62). لم نستطع بدورنا تجاهلها بمقالنا الأحداث الأساسية بتاريخ التعليم الجزائري منذ احتلاله

واستقلاله وسياسات التعليمية الفاصلة بتحديث التعليم وتجاوز الأزمات التي مر به. إن الأحداث والخبرات الماضية ذات التأثير المستمر في الخبرة التربوية الحالية مهما كانت مستوياتها وميادين تحقيقها، وبمختلف مكونات هذه الأحداث والخبرات، هي التي يمكننا من تسميتها بالبعد التاريخي. إننا نميز بين الأحداث والخبرات التاريخية التي انتهى تأثيرها، وبين تلك التي مازالت مؤثرة. ومن هنا فإن البعد التاريخي يعني بالضرورة استمرار التأثير في الأنظمة التربوية المعاصرة. ويكفي للدلالة على هذا التأثير الجدل القائم حول أهمية البعد التاريخي بمختلف مكوناته في الإصلاحات التربوية المتتالية، إذ يكفي مجرد هذا الاختلاف للدلالة على ذلك، سواء كان الموقف مؤيدا أو مخالفا.

2-1- التعليم قبل الاحتلال -العهد العثماني:

شهد تاريخ الدولة الجزائرية حضارات متتالية وضعت بصمتها بشكل واضح بالنظام التعليمي المتبع، فمنذ القدم تميزت العاصمة الزيرية بعلمائها ومدارسها وهذا دليل على أن التعليم كان له مكانة مهمة بالمجتمعات الإسلامية للمغرب الكبير. فحسب الجرد الموجود في كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لـ أبو القاسم، خمسون مدرسة ابتدائية وعلى الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية وأشهرها الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام (سعد الله، أ، 1988، 89). ولم يختلف المشهد مع العهد العثماني، إذ تواصل شغف الجزائريون على طلب العلم فامتدت المدارس بمناطق مختلفة كالمدن والأرياف، فعند دخول الفرنسيين الجزائر أحصوا حوالي تسعين مدرسة وسبع مدارس للتعليم الثانوي والعالي. مما يمثل حسب المعلومات التي أكد عليها كل من معاش وخلوت على أن أربعون بالمئة من الجزائريين في تلك الفترة يحسنون القراءة والكتابة، أي فترة حكم الدولة العثمانية (1513-1830) بالجزائر، فالمجتمع المدني نهض بالمدارس بفضل دعمه المادي (الصدقات والأوقاف، نفقات الخواص) (111، khellout A, Maache Y, 2004). فكان التعليم يعتمد على مجهودات الأفراد والمؤسسات الخيرية بعيدا عن تسيير الدول العثمانية الذي أهملته.

عدد المدارس يعكس شغف وعطش المجتمع للمعرفة وحثه عليها واستثمار مختلف الجهود للنهوض بالمعرفة وتطويرها. تعددت أشكال المؤسسات التعليمية فتميزت بتواجدها داخل الأحياء والمساجد والمعروفة بـ "الكتاتيب" وهي حجرة صغيرة ممتدة بمساحة المسجد أو متواجدة بالحي، يتكفل بها سكانه وإمام المسجد فكان يلقي بها

الكتابة والقراءة للصغار والأهم تحفيظ القرآن من نعومة أظافرهم، للمحافظة على الإرث العربي الإسلامي ومواصلة غرس القيم التربوية للدين الإسلامي. آنذاك لعبت الزوايا دورا مهما في تكوين الأئمة والفقهاء والعلماء المستقبل فهي عبارة عن المدرسة على جهة ومساكن الطلاب من الجهة الأخرى.

يعتبر الدور الرئيسي للتعليم بالعهد العثماني تربية وتعليم وتنشئة الاطفال على حفظ القرآن واكتساب تعاليمه الأساسية (الصلاة، الصيام)، ومعرفة قواعد النظام العربي الإسلامي كنمط حياة. فالمدرسة بدعم من المجتمع المدني واصلت إنتاج أفرادا متعلمين محصنين محاربين بذلك الجهل والامية، لكن لم يرقى هذا التعليم إلى نظام قائم بحد ذاته يقوم على شؤون المؤسسات والمعلمين والمتعلمين مما شكل بعد ذلك هدف لتدمير المدرسة الجزائرية من قبل المحتل.

2-2- فترة الاحتلال – المقاومة والصمود:

عرفت المدرسة المشتركة –تعليم اللغة العربية واللغة الفرنسية لكل من أبناء الأهالي وأبناء الفرنسيين خلال بداية الاحتلال (العهد العسكري)، وهو تدمير ممنهج من طرف المستعمر لإيقاع الجزائريين بظلمة الأمية وإبقائهم بعتمتها لسنوات طويلة. فتميزت بنشاط ضعيف بسبب عدم إقبال أبناء الجزائريين عليها خوفا من الابتعاد عن وطنيتهم، رغم تقديمها تعليمًا ابتدائيًا دينيًا مجانيًا وهي صورة وهمية للمدرسة القرآنية التي كان يطمح الأهالي إلى تواجدها في تلك الحقبة التاريخية لمواصلة تعليم أبنائهم نحو النهج العربي الإسلامي. إثر هذه الأوضاع باءت المدرسة المشتركة بالفشل فتم غلقها نهائيا بسقوط النظام الإمبراطوري، وتحت تأثير معارضة المستوطنين لهذه المدارس تم إلغائها. أما في الوضع المدني عرف التعليم اهتمام السياسيين الفرنسيين من أهمهم "جيل فيري" وزير التعليم الفرنسي ومؤسس المدرسة العلمانية والمجانية عام 1883، فقرر بناء 110 مدرسة ابتدائية عام 1882 وتضاعف إلى 1200 سنة 1886، ومنحت ميزانية مقدرة بأربعة وتسعون ألف فرنك للتعليم العمومي لأبناء الأهالي. فوصل عددهم ثلاثة وخمسون ألف عام 1886 ومائة وأربعة عشرة ألفا عام 1892 (Ageron C. R., 1979, p50).

لم تستطع فرنسا فرض نظامها التعليمي الممنهج لطمس كل المعالم والمقومات الثقافية العربية الإسلامية للجزائري، فواجهت تصدي الحركة الإصلاحية التي كانت

تقودها جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث قامت الجمعية منذ سنة 1934 من إنشاء مدارس حرة، كان هدفها الرئيسي إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة، وإحياء اللغة وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي للمحافظة على الهوية الجزائرية وعروبته (تركي، ر.ع، 2001، 370).

شهدت الجزائر نظامين تعليميين في تلك المرحلة، الأول: نظام تعليمي فرنسي تشرفه عليه وزارة التعليم الفرنسية وتسير المدارس الحكومية. الثاني: نظام تعليمي حر، ذو طابع ديني-عربي يشرف عليه جمعية العلماء المسلمين بفضل رعاية الشعب ومدهم للتبرعات. لم يلبث المستعمر على هذا المنوال، فأصر على محاربة وغلق المدارس الحرة الجزائرية مع اندلاع الثورة التحريرية 1954 م، وأوقف كل الإجراءات الإدارية التي جاءت بها الأحكام القانونية كإلغاء استعمال اللغة العربية إداريا ورسميا ومنع نشر الجرائد والكتب العربية، وسلطت عقوبات قصوى ضد كل من يشارك بالعملية التعليمية بشكل علني أو سري (عمار، ه، 1995، 100).

استمر القائمين على المدارس الحرة وهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين يناضلون من أجل محو الأمية والجهل الذي انتشر بشكل كبير بالمجتمع الجزائري حيث قدرت الأمية غداة الاستقلال بـ 90 % وهذا ما يؤكد نجاح سياسة المستعمر في تحقيق المثلث الخطير (الجهل - الفقر - المرض) على الأهالي.

فورثت الجزائر بعد استقلالها نظاما تعليميا أجنبيا في شكله ومضمونه وإدارته، مما أعاق النهوض بتعليم جزائري يرتكز على مقومات مبادئ السيادة الوطنية للمنظومة.

2-3- فترة الاستقلال وما بعد ذلك :

بعد الاستقلال اصطدم النظام التعليمي بإشكالات حالت دون تفكير في وضع تصميم ينسجم مع الحقائق الوطنية، مثل الإقبال الجماعي للالتحاق بالمدرسة في المقابل تتمثل الوضعية بنقص المؤسسات المدرسية والمعلمين، مما أثر على تعداد التلاميذ سنة 1962 بالقسم الذي قدر بـ 66 تلميذا، لكن مع مرور الزمن وتزايد عدد الهياكل التربوية (المدارس) انخفض عدد التلاميذ إلى 30 بعام 2012 (عبد القادر، ف، 2016، 45).

مر التعليم الجزائري بتطورات وإصلاحات عديدة، وواجه أزمات متتالية للرفع من جودة التعلم، نحاول إيجازها بالنقاط التالية:

- وضع المدرسة الأساسية كوحدة مكونة من ثلاث أطوار تعليمية والذي يدوم 9 سنوات ثم الانتقال إلى التعليم الثانوي ابتداء من سنة 1980.
- جراء التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر سنة 1989، ارتكز الإصلاح على المجال البيداغوجي والمناهج وفق المقاربة بالكفاءات، وتدرّس اللغة الأمازيغية بالمدرسة، وإدراج كل من مادة التاريخ والجغرافيا بالسنة الثالثة ابتدائي، والتركيز على تحسين مستوى التأطير البيداغوجي والإداري بإعادة النظر في تكوين المعلمين والأساتذة، وتخفيض مدة تعليم في المرحلة الابتدائية من 6 إلى 5 سنوات في مطلع السنوات 2003-2004.
- في سنة 2016 تم إصلاح أو بالأحرى المواصلة بنفس المسار أي إعادة النظر في المجال البيداغوجي، بتحديث المناهج الدراسية مرة ثانية والذي أطلق عليه بـ "منهج الجيل الثاني". وهو إصدار جيل جديد بالنسبة للكتاب المدرسي قصد تعزيز مسار الانتقال من نموذج التدريس المباشر إلى نموذج عصري يقوم على مبدأ "تعليم المتعلم كيف يتعلم بنفسه". فيفضل هذا النموذج اعتماد التلميذ على قدراته والبرهنة على كفاءته، وتحضيره لتجاوز وضعيات الحياة اليومية (وزارة التربية الوطنية، 2016، 12).
- رغم تكريس الإصلاح التعليمي التربوي أولوية الحفاظ على تكافؤ الفرص لجميع التلاميذ وتحقيق تعليم نوعي ومناسب وفعال وشامل، مدعم للنجاح المدرسي (وزارة التربية الوطنية، منشور رقم 1053، 24 جوان 2018). إلا أنه لم يستطع تحقيق ذلك لعدم الاستقرار في المناهج والتغيير المستمر في كل فترة لمحتوى الكتب المدرسية، وما يتبعه كمؤشر على عدم ثبات رؤية واضحة لإيديولوجية وسياسة الدولة بمجال التعليم وترسيخ أهداف واقعية تتماشى مع الإمكانيات البشرية والمادية التي تملكها الجزائر بعيدا عن التشبث بنماذج أجنبية لا تتوافق مع هويتنا وثقافتنا. مما لم يجعلنا نتجاوز العديد من مظاهر التخلف الفكري والمعرفي، وتجعل المنظومة التعليمية تقود المجتمع إلى مستوى راقى وتساهل مسار التنمية على المستوى المحلي والدولي.

3. مخرج التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا

نشأ التعليم عن بعد أواخر القرن التاسع عشر بفضل تقنية المراسلة وهو إرسال المواد التعليمية مطبوعة إلى المتعلمين والذي يطلق عليه بالتعليم بالمراسلة، ثم توسع هذا النمط من التعليم في السنوات الستينات ليُدْرَج الوسائط التعليمية المتعددة،

المتمثلة في الهاتف والحاسوب والبريد الإلكتروني. وأصبح التعليم عن بعد بديل التعليم الأكاديمي المعترف به عالميا.

يتمحور التعليم عن بعد، في كل نموذج أو شكل أو نظام تعليمي يكون فيه الطلاب بعيدين عن مؤسساتهم معظم الأوقات التي يدرسون فيها. وهي طريقة ابتكارية لإيصال بيانات التعلم، المصممة جيدا للمتعلم، موجهة لأي فرد في أي مكان وزمان، وتعتمد بالأساس على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتقديم الدروس ومحاضرات إلكترونية كأساليب وطرق تعليم حديثة رقمية، ضمن إطار منظومة موجه تهدف توفير خدمة تعليمية عالية المستوى في الكفاءة والجودة (أبو بكر، ف، 2014، 83).

أما في زمن جائحة كورونا أو كما يطلق عليه زمن الحجر المنزلي الذي فرض على الفرد في كل بقاع العالم، والتباعد الجسدي، والعزلة الاجتماعية، مما حول سياق التعليم عن بعد بالتعليم الإلكتروني أمرا حتميا وطارئا بسبب طارئ وباء كورونا المستجد، مما جعله يختلف عن التعليم الإلكتروني المتداول (وهو كنموذج للتعليم عن بعد) باعتباره تعليما موازيا ومكملا للتعليم العادي الحضورى. للتأكيد على خصوصية التجربة بالنسبة للتعليم عن بعد الطارئ أنه إجراء اضطراري يفترض أن يؤدي مهامه بدقة وفي زمن محدد وهو الحجر المنزلي حين تعذر الأداء المباشر للعملية التعليمية في فضاء المدارس والمعاهد والكليات (الصبيح، ه، 2021، 8).

إن تبعات جائحة كورونا التي تسببت في غلق المؤسسات التعليمية وتوقيف النشاطات البيداغوجية في الكثير من دول العالم، ومن بينها الجزائر ارتأت إلى مواجهة هذه الأزمة (ولا تزال)، من خلال تسطير مشروع التعليم عن بعد ونقل النشاط البيداغوجي الحضورى إلى "الافتراضي"، "الإلكتروني" للتعامل مع توقف الدراسة بشكل حضوري، بسبب الخوف من انتشار الوباء حتى بمستوى فئة الأطفال. وهي كخطوة اضطرارية ومفاجئة لإنقاذ الموسم الدراسي 2019-2020، بعد إعلان وزارة التربية عن توقف الدراسة بـ 20 مارس 2020 أي بنهاية الفصل الثاني من السنة الدراسية.

أطلقت وزارة التعليم في 5 ابريل 2020، برنامجا محكما للتصدي إلى هذه الأزمة الثقيلة على كاهل كل الدول، وهو برنامج الدعم التعليمي عبر المنصات الرقمية للديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، وتجسيدها للخطة التي وضعتها الوزارة فتح قناة وطنية تعليمية "قناة 6" لمواجهة انقطاع الدراسة في كل ولايات الوطن، وتجاوزت

مشاهدة هذه الحصص 10 ملايين مشاهد في الأسابيع الأولى حسب تصريح وزير التربية. إذ كلفت كل مديريات التربية لتغطية هذه الحصص التعليمية التلفزيونية في مختلف مستويات التعليمية، حيث أن مديرية التربية بأدرار كلفت بالسنة الأولى ابتدائي، وتولت مديرية التربية لسعيدة السنوات الخامسة، أما السنة الأولى من التعليم المتوسط فلقد كلفت بها مديرية التربية بسطيف، أما السنة الرابعة متوسط، فأُسندت إلى مديرية تبسة، أما بخصوص التعليم الثانوي فقد تولته مجموعة من المديريات (بسكرة، تيزي وزو، قسنطينة، الأغواط وبجاية) (امبارك، أ، 2019، 40).

فاختارت كل مديرية التربية أحسن الأساتذة بمختلف المواد التعليمية الأساسية (رياضيات، واللغة العربية، والعلوم والفيزياء والفرنسية والإنجليزية... إلخ) وبمستويات متعددة لتقديم دروس مسجلة في حصص تلفزيونية تتراوح مدتها ما بين 45 د إلى 60 د. تم الإعلان عنها في مختلف النشرات الإخبارية والمواقع الإلكترونية لكي يتابعها التلاميذ عبر التلفزة ببيوتهم واستمرار الدراسة بشكل جديد.

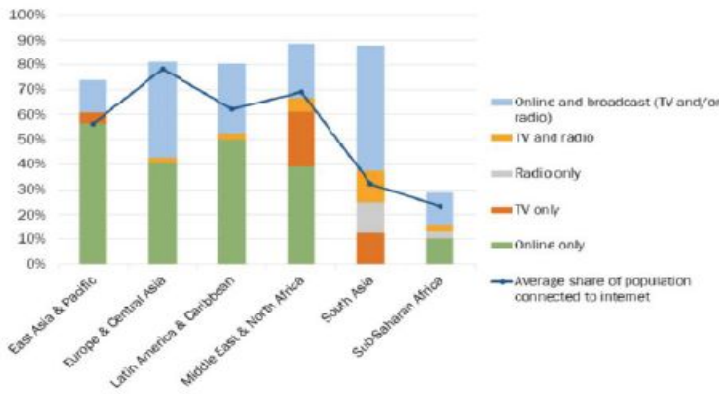
استمرت الجهود لمجابهة انقطاع التعليم المتواصلة بتفعيل برامج أخرى وتوسيعه ليشمل الإذاعات المحلية، خاصة لفئة التلاميذ الذين لا يملكون وسائل التكنولوجيا والاتصال الحديثة. وهو ما أوضحه تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة عن اكتفاء بعض الدول بالبث التلفزيوني، بعضها تفاعلي وبعضها غير تفاعلي، ومنهم من استخدم الراديو، منهم من سعى إلى الدمج بين وسائل تعليمية عدة في نفس الفترة، وإدراج الحصص عبر الإنترنت من خلال منصّات تعليمية مختلفة (اليونسكو، 2020)، وهو ما تضمنته إستراتيجية الجزائرية الاستعانة بأشكال متعددة ووسائل السمعي البصري والسمعي والرقمنة وتوفير عدة فرص لتمكين التلاميذ باختلاف مستوياتهم الاجتماعية وانتمائهم الجغرافي.

ما لاحظناه أن قرار السلطات للانتقال إلى التعليم عن بعد كان قرارا متأخرا مقارنة بالدول المجاورة والأوروبية، وهذا راجع للتجربة المحتشمة التي تعرفها بلادنا لهذا النموذج، وتبنيه من قبل وزارة التعليم أو حتى وزارة التعليم العالي. فكان القرار مجمدا إلى الدخول الدراسي 2020-2021 وبعد عدة خطوات نذكر البعض منها:

- تقديم عطلة الربيع بداية من 12 مارس 2020.

- تمديد العطلة حتى آخر مارس وإطلاق برامج دعم عبر الانترنت للسنوات الخامسة الابتدائية والرابعة متوسط والثالثة ثانوي وهي المستويات التي ستجتاز شهادة.
- تسخير قنوات التلفزيون العمومي الرسمي والإذاعات لفئة التلاميذ غير القادرين على التواصل عبر الانترنت.

الشكل (1): يبين استعانة دول العالم للوسائل الحديثة للخروج من أزمة التعليم في فترة الحجر الصحي لسنة 2020



Source : Center for Global Development and the world Bank

المؤكد أن عدم جاهزية النظام التعليمي الجزائري لاستعانة بالتعليم الإلكتروني مباشرة بعد العطلة الوقائية والإجبارية التي قررت بمارس 2020. تظهر بشكل جلي من المخطط التي وضعه المركز البنك الدولي والتنمية المستدامة بسنة 2020 (تقرير البنك الدولي، ماي 2020). إذ تبين من خلال البيان، أن شمال إفريقيا تعددت وسائلها للتعليم عن بعد ولم تتفاوت النسب بقدر كبير ما بين التلفزة فقط والتعليم الإلكتروني والإلكتروني والتلفزة والراديو معا. نرى أن السياسة التعليمية بالجزائر لا تزال رهينة التعليم التقليدي رغم إدراجها للمناهج التعليمية الحديثة كالتعليم بالكفاءات ومراعاة قدرات التلميذ بإدماجه كعنصر فعال بالعملية التعليمية التعليمية، لكن لم تبدل مجهود واضح بالنسبة للوسائل التعليمية وأبقت الأدوات التقليدية (الصبورة والطباشير) رغم تطور المنهاج، ولم تلحق الوسائل التكنولوجية للنظام التعليمي كالصبورة الذكية، وجهاز الكمبيوتر والمنصات التعليمية واللوحات الإلكترونية، وحتى التلميذ لا يزال يستعين

بالورقة والقلم كأداة أساسية بتعليمه رغم حوزته على الهاتف الذكي والكمبيوتر بالبيت وشبكة الانترنت.

نعتبر أن التعليم عن بعد أصبح أكثر من أي وقت آخر، ضرورة لمواصلة التلاميذ تلقي تعليمهم أو المواد التعليمية الأساسية على الأقل بشكل جزئي مقارنة بالتعليم الحضوري وهذا لإنقاذ السنة الدراسية ومرافقة التلاميذ لاجتياز شهادتهم، خاصة بالنسبة للتلاميذ الذين لا يستطيعون الحصول على الدعم الدراسي الخاص والذي يثقل كاهل الأولياء بمبالغ باهظة. إذ التعليم عن بعد أصبح حتمية لا مفر منها بسبب الأزمة الصحية التي تعرضت لها البلاد واستحداث التكنولوجيا الذي مس اغلب الأسر لاقتنائهم جهاز الكمبيوتر وحصولهم على شبكة الانترنت. فحسب التقرير الرقعي للجزائر لسنة 2021 قدر عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر بلغ 26.35 مليون شخص بنسبة 59.6 بالمائة من العدد الإجمالي للسكان، وبلغ مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي في الجزائر 25 مليون شخص بنسبة 56.5 بالمائة، من العدد الإجمالي للسكان البالغ 44.23 مليون نسمة، فيما ولج 46.82 مليون مستخدم إلى الانترنت بواسطة الهواتف النقالة ما يشكل نسبة 105.8 بالمائة (تقرير الرقعي للجزائر، 2021).

تزايد اشتراك الجزائريين بالشبكة الانترنت واقتحامه للبيوت زاد من إتقان الأطفال (التلاميذ) البرامج الإلكترونية بفضل هواتفهم النقالة، فمواكبة الدراسة وإنهاء البرنامج التعليمي السنوي كان مرهونا بنجاح التعليم عن بعد بمختلف وسائطه (البث الإذاعي والتلفزيوني، المنصات الإلكترونية) ومدى تفاعل المتعلمين والأساتذة مع المنهاج التعليمي الجديد، ومدى استيعاب وتأقلم التلاميذ للتعليم عن بعد وجاهزيتهم لممارسته خاصة القاطنين بمناطق الريفية والنائية التي تعاني من ضعف التدفق بالشبكة الانترنت، وهذا ما يعادل 26 بالمائة من عدد سكان الجزائر الذي بلغ 44.23 مليون نسمة.

4. التعليم عن بعد بالجزائر يصطدم بالواقع

لقد واجهت العديد من الدول أزمة التعليم بسبب جائحة كورونا في مارس 2020، لكن نرى أن الاختلاف يتمثل في أن الجزائر اعتمدت بشكل مكمل التعليم عن بعد للتعليم المباشر أو التقليدي للحالات الاستثنائية أو لتعزيز العملية التعليمية في فترات العطل أو مرض أو تعذر الذهاب إلى المدرسة لأسباب مختلفة. أما البعض الآخر من الدول انتهجت التعليم عن بعد كضرورة حتمية لمواجهة أزمة التعلم ومن هنا واجه

العديد من الفاعلين، المعلمين والقيمين على العملية التربوية تحديات في هذا الخصوص فرضها كل من الواقع التقني والمواد البشرية والإمكانات المتاحة في كل بلد (اليونسكو، 2020، 2020). بالإضافة إلى ذلك نؤكد على فرص متوافرة للتلاميذ لتقليص فجوة الفروق المادية بينهم، خاصة الذين يملكون الوسائل التكنولوجية كالحاسوب، تدفق قوي للشبكة الانترنيت، ومعرفة واسعة للرقمنة وبرامجها.

وسنحصر بعض الصعوبات التي واجهها الفاعلين بالتعليم عن بعد:

- قلة تجربة واستعداد المعلمين على تقنية التعليم عن بعد، بفعل غياب العملية التفاعلية مع التلاميذ، حيث أقتصرت الدرس على تسجيل سمعي بصري بدون مراعاة الاختلافات التي سيجدها التلميذ ومقارنته بطريقة إلقاء معلمه بالمدرسة. أيضا ما يلفت الانتباه هو لهجة الأستاذ بفعل اختلاف المناطق التي وكلت لها هذه المهمة كما ذكر سالفًا.

- عدم استعداد التلاميذ لنموذج التعلم عن بعد ورفضهم له، لأنه عايش حالة من الاغتراب بسبب عدم فهمه للدرس، فكانت ردت فعل التلاميذ عزوفهم عن مشاهدتهم هذه الحصص وفضلوا الرجوع إلى دروس الدعم أو الدروس الخصوصية رغم احتمال العدوى والإصابة بفيروس كورونا.

- عدم امتلاك المعلمين والأساتذة خبرة إدارة عملية التعلم عن بعد وتنفيذها وعجزهم على موائمة المحتوى التعليمي بمنهج محكم، وإيجاد الطريقة الملائمة لجذب انتباه التلاميذ عبر الوسائط الحديثة ومراعاة الفروق التي تقف حاجزا على مسار التعليمي بتلك الفترة.

- ظهور التفاوت الطبقي بشكل قوي خاصة فيما يتعلق بامتلاك الوسائط التعليمية عن بعد، فتتعرض الأسر ذات الدخل الضعيف للتمييز وتعرض أطفالهم لفقر التعلم وتراجع مستواهم الدراسي. وهذا ما أدركه الكثير من الأساتذة بالدخول المدرسي سنة 2020-2021 بسبب انقطاع التلاميذ عن الدراسة لأكثر من 6 أشهر.

- تطوع الكثير من الأساتذة بشكل تلقائي من خلال عرض بعض الفيديوهات للدروس، خاصة للمستويات النهائية والتي تجتاز امتحانات الشهادة. اختلط الأمر على الأولياء بشكل كبير لتعدد المصادر، ونقص المعلومات حول طرق الاستعانة بالتعليم عن بعد بطريقة صحيحة وهادفة.

- عجز الكثير من الأولياء إقناع أطفالهم المكوث أمام التلفاز والكمبيوتر لساعات طويلة، أمام إحساسهم بعدم جدوى هذه الوسائط التعليمية، وتمسكهم بالتعليم الحضوري داخل القسم وإصرارهم على مواصلة تفاعلهم مع الأستاذ مباشرة.

- إصابة الكثير من التلاميذ بالإرهاق النفسي لعدم استعدادهم للتعليم عن بعد بسبب انقطاع العلاقة بأساتذتهم أي التواصل والتفاعل التعليمي، كعنصر مهم في عملية التحصيل الدراسي. أمام اللجوء إلى الحصص التعليمية التلفزيونية أو اليوتوب التي لم تكن كافية للتخفيف عن مخاوفهم ومشاكلهم الدراسية.

فكل المعلومات السابقة تفيدنا أن الجزائر ونظامها التعليمي يواجه تحديات ثقيلة الحجم لكي تواكب بعض الدول في تعليمها عن بعد. كمثال نذكر دولة الإمارات التي استطاعت بفعل إدراكها منذ زمن طويل مدى أهمية إقحام الوسائل التكنولوجية بسياستها التعليمية، وتطوير مناهجها بفضل التعليم الإلكتروني. مما مكّنها أن تكون جاهزة لهذا النوع من الأزمات وتفكيرها بحلول المناسبة، زيادة على المنصات التعليمية، أنشأت الإمارات العربية المتحدة خطاً للمعلمين والطلاب لالتماس الدعم التقني إذا واجهوا أي صعوبات (الإتحاد الدولي للاتصال، العدد 03، 2020، 11).

5. تحديات التعليم عن بعد

يرى الخبير التربوي حلمي رؤوف حمدان، أن أهم النتائج الإيجابية التي طرأت خلال انتشار الوباء هو الإحساس بضرورة توظيف التكنولوجيا في التعليم، وما تبع ذلك الإحساس من محاولات لتطبيق ذلك عملياً، فاتجهت الدول تبعاً إلى الاعتماد على التقنية وشبكة الانترنت في استمرار العملية التعليمية على كافة المستويات التعليمية، حيث أصبح الاهتمام متزايداً نحو مفهوم التعليم الإلكتروني والتعليم المدمج (حلمي رؤوف، ح، 2020).

يمكن تصنيف التحديات بلادنا حسب عنصرين أساسيين لإنجاح التعليم عن بعد وهو العامل المادي والعامل البشري:

1-5- العامل البشري :

- يبدأ التحدي عند اتخاذ قرار استخدام التعليم عن بعد بمختلف وسائطه، هو الشروع بتكوين العناصر البشرية وتدريبهم على مناهج التعليم عن بعد وكيفية التعامل مع التلاميذ وهي أهم خطوة لبناء بنية تحتية وقاعدة لهذا النموذج من التعليم،

والاعتماد عليه مستقبلا كمكمل للتعليم الحالي وليس فقط في الأزمات. اعتبر علي المنعم التعليم الإلكتروني بديل حضاري يجب أن تعتمد عليه الدول (خاصة العربية منها) وتدمجه بالتعليم الحالي، كمجال حديث يطلق عليه بالتعليم الخليط أو المختلط أو الهجين (على المنعم، ق، 2020).

- اعتراض الكثير من الأساتذة لما أقرت به وزارة التربية والتعليم، الاستعانة بالتعليم عن بعد بدون تحضير لهذه المرحلة الحساسة وعدم مشاركتهم كفاعلين في اتخاذ هذا القرار، فكانت التجربة عبارة عن حل اضطراري بدون أخذ بعين الاعتبار معطيات الواقع.

2-5- العامل المادي والتقني:

- تحتاج البنية التحتية للتعليم عن بعد، الوسائل المادية كوفرة أجهزة الكمبيوتر داخل المؤسسات وسهولة اقتنائها من طرف الأسر، سرعة عالية لتدفق شبكة الانترنت الجيل الثالث والرابع، وعمل على سهولة الحصول على الانترنت بالمنزل عبر الهاتف الثابت في مختلف مناطق الوطن.

- تحتاج عملية الانتقال الدول من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني إعادة هيكلة المدارس التقليدية وتحويلها إلى مدارس ذكية وتزويدها بالوسائل التقنية الحديثة ورقمنة إدارتها لتجميع كل المعلومات الخاصة بالمسار التعليمي للتلاميذ وتزويدهم بالمعلومات والوثائق اللازم بفضل منصة مديرية التربية، ووضع منصات تعليمية إلكترونية يسهل الولوج إليها واتصال مباشرة بالأساتذة.

- تزويد مناطق الظل بإمكانيات مدعمة للتعليم عن بعد، مثل توفير التيار الكهربائي، وشبكات الانترنت.

خاتمة :

لم تسلم الجزائر كغيرها من الدول من تفشي فيروس كورونا (كوفيد 19) بشكل مفاجئ، مما اضطر السلطات من اتخاذ قرارات وتدابير وقائية مهمة لمواجهة الأزمة على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، ولم يستثنى قطاع التعليم عن القطاعات الأخرى. فتمثلت الإجراءات بالنسبة للنظام التعليمي بفرض عطلة وقائية حيث نتج عنها توقف الدراسة وغلق كل المؤسسات التعليمية واستبدال نظام التعليم الحضوري بالتعليم عن بعد كحل اضطراري وحتى مواصلة التلاميذ

دراسهم بمنازلتهم، وإنقاذ بقية السنة الدراسية 2019-2020 والمتمثلة بإنهاء الفصل الثالث بفضل الحصص التعليمية المباشرة التي تبثها قناة التلفزة الوطنية السادسة، والمنصات التعليمية لمرافقة التلاميذ لتحضير اجتياز امتحان شهادة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. لكن جاء هذا القرار بجملة من التعليمات المتتالية، كإلغاء الفصل الثالث والاكتماء بالفصلين الأول والثاني للانتقال للسنة الدراسية الموالية مع خفض معدل القبول لكل المستويات، إلغاء امتحان شهادة التعليم الابتدائي والمتوسط، تأجيل شهادة البكالوريا لشهر سبتمبر 2020. لاشك أن هذه القرارات المتتالية هي نتيجة لخوض الجزائر تجربة جديدة، وأن الوزارة لم تكن مستعدة لمواجهة أزمة التعليم، مما أضفى على مشروع تطبيق التعليم عن بعد الكثير من الضبابية والارتجالية خاصة في غياب التحقق من عملية التحصيل العلمي بهذه الفترة. فنعتقد أن التعليم عن بعد كان بديل حضاري استعجالي للتعليم بالجزائر كسائر الدول العالم، انتهجت مسار التعليم الإلكتروني، الذي اختاره الكثير من الدول للخروج من كارثة حرمان الطفل من التعلم بالعالم.

في الأخير توصلنا إلى أن التعليم عن بعد كان رهانا كبيرا على الدولة الجزائرية، أمام نقص الإمكانيات المادية والبشرية، واستعداد حقيقي للتلاميذ، وغياب تكوين المعلمين، وإضافة إلى ما أسماه الباحثين بترهل المنظومة الرقمية (امبارك، أ، 2019، 42). فكل هذه العوامل تقف حاجزا أمام نجاح التعليم عن بعد ببلادنا. نؤكد أن وجود بنية تحتية كقاعدة كان سببا في نجاح الكثير من الدول لتبنيهم التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، واستمر هذا النجاح بتدعيم متواصل للفئات المحرومة وتوفير لها الوسائل الحديثة لمنح فرص التفوق الدراسي لكل التلاميذ.

مقابل فشل تجربة الجزائر بالتعليم عن بعد، والاستغناء عنه بالدخول المدرسي 2020-2021. يتعين علينا الكشف عن تجربة حقيقية ورائدة من نوعها، تتمثل بمنصة رقمية تعليمية وهي من المشاريع الناشئة في ظل جائحة كورونا بولاية سطيف بفضل مجهودات الأستاذ وسيم حلاسة، تدعى "دروسكم" منصة التعليم الإلكتروني. توفر للمتعلمين دروس ودورات بشكل حصص تفاعلية مباشرة ومسجلة تتوافق والمناهج الدراسية. وانخرط بها تلاميذ من 46 ولاية وهو ما يمثل كل مناطق الوطن.

جاء رواج هذه المنصة كطلب لإعادة تواصل التلاميذ مع الأساتذة بعد انقطاعه المفاجئ بسبب جائحة كورونا بالموسم الدراسي 2019-2020. وأسفرت هذه المنصة عبر مؤسسها عن نتائج جد مرضية للتلاميذ، وهذا دليل أن التعليم عن بعد يحقق نجاح غير مسبوق في حالة بناء مشروع ممنهج وبرمجة مدروسة بدقة ووضع محتوى تعليمي هادف يسعى إلى تحصيل التعليمي عالي المستوى.

أهم الاقتراحات

- العودة إلى التعليم الحضوري باحترام البروتوكول الصحي، كتقليص عدد التلاميذ بالأقسام، وعدد الحصص المدرسة وتقليص مدتها.
- اعتبار التعليم عن بعد كحل دائم للنهوض بالنظام التعليمي ومواكبة التطورات التعليمية حيث أصبح التعليم المدمج هو الرائد بالدول المتقدمة.
- توفير البنية التحتية والتجهيزات التقنية والرقمية بالمؤسسات التعليمية والبيوت الجزائرية لإنجاح التعليم عن بعد.
- استمرار التكوين والتدريب الرقمي للأساتذة والإداريين.
- التركيز على المناهج التعليمية التي تعتمد على وسائل الاتصال الحديثة.
- تشجيع الكفاءات العلمية التقنية للاستثمار بالمنصات الرقمية التعليمية.
- إيجاد حلول مستعجلة لمعالجة المشكلات النفسية والاجتماعية للتلاميذ.
- ضمان حماية بيانات التلاميذ والأساتذة أثناء التعليم عن بعد.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو القاسم، سعد الله. (1988). تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، بيروت: دار المغرب الإسلامي.
- أبو بكر، فلاتة فايزة. (2014). فاعلية التعليم الإلكتروني في القرآن الكريم، ط1، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.
- أمبارك، أحمد وبكري، محمد أمين. (2019). التعليم الإلكتروني في زمن كورونا: التجربة الجزائرية، تحديات ورهانات. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 7 (2)، 290-299.
- تركي، راجع عامرة. (2001)، الشيخ عبد الحميد بن باديس - رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، الجزائر: منشورات أنيب.
- حلمي، رؤوف حمدان (2020، سبتمبر 8)، التعليم في زمن الكورونا : التعليم المدمج بين النظرية والتطبيق، جريدة وطن نيت، تم الإسترجاع من الرابط

<https://www.wattan.net/ar/news/319108.html>

- عبد القادر، فضيل. (2016). نظام التعليم في الجزائر: بين مظاهر التدني ومستويات التحدي، الجزائر: دار الطباعة والنشر جسور.
- علي منعم، القضاة (2020 ماي 01)، التعليم الإلكتروني وهمومه في زمن كورونا، طلبة نيوز للإعلام الحر، تم الإسترجاع من الرابط : <https://talabanews.net/ar/الـتـعلـيـم-الإلـكـتـروني-وهـومـه-في-زمن-كـورونـا>

عمار، هلال. (1995). أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

هدوي، الصبحي. (2021)، التعليم عن بعد في زمن الكورونا: الحل المشكل قراءة في مشكلات التفاعل التعليمي، مؤلف جامعي بعنوان التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، تحت اشراف : أحلام الحال، حمزة الثلب، مركز الديمقراطي العربي. وهيب، إبراهيم سمعان. (1958). دراسات في التربية المقارنة، مصر :مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى. تقرير الرقمي للجزائر (2021، أكتوبر 29)، 2021، تم الإسترجاع من الرابط :

[https://datareportal.com/reports/digital-2021-algeria?rq=algeria&fbclid=IwAR3Bz-](https://datareportal.com/reports/digital-2021-algeria?rq=algeria&fbclid=IwAR3Bz-R4UkvUBb9KsiDI-n2mrduk5A1PH4jvD_h-hZGIoqVYVWUDRAyrxY)

[R4UkvUBb9KsiDI-n2mrduk5A1PH4jvD_h-hZGIoqVYVWUDRAyrxY](https://datareportal.com/reports/digital-2021-algeria?rq=algeria&fbclid=IwAR3Bz-R4UkvUBb9KsiDI-n2mrduk5A1PH4jvD_h-hZGIoqVYVWUDRAyrxY)

Ageron, C. R. (1979). *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris : Presse universitaire de France.

Maache, y., & khellout, A. (2004). « *L'enseignement en Algérie sous le régime ottoman* », in *Revue des lettres et sciences sociales* (n°1, Avril, pp. 105-121).